سورة التوبة

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان وآياتها ١٢٩ : نزلت بعد المائدة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ * وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ

﴿سورة براءة﴾

وتسمى سورة التوبة ، وتسمى أيضا الفاضحة : لأنها كشفت أسرار المنافقين ، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها ، واختلف فى سبب ذلك ، فقال عثمان بن عفان اشتبهت معانيها بمعانى الأنفال وكانت تدعى القرينتين فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قرنت بينهما فوضعتهما فى السبع الطوال وكان الصحابة قد اختلفوا هل هما سورتان أو سورة واحدة فتركت البسملة بينهما لذلك وقال على بن أبى طالب البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، فلذلك لم تبدأ بالأمان (براءة من الله ورسوله) المراد بالبراءة التبرؤ من المشركين وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ (إلى الذين عاهدتم من المشركين) تقدير الكلام براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فمن وإلى يتعلقان بمحذوف لا ببراءة ، وإنما أسند العهد إلى المسلمين فى قوله عاهدتم ، لأن فعل النبى صلى الله عليه وسلم لازم للمسلمين ، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عاهد المشركين إلى آجال محدودة ، فمنهم من وفى فأمر الله أن يتم عهده إلى مدته ، ومنهم من نقض ، أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر ، وبعدها لا يكون له عهد (فسيحوا فى الأرض) أى سيروا آمنين أربعة أشهر وهى الأجل الذى جعل لهم ، واختلف فى وقتها فقيل هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة ، وقيل هى من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر ، لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تلك السنة أبا بكر الصديق يحج بالناس ثم بعث بعده على بن أبى طالب فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة وقيل يوم النحر (غير معجزى الله) أى لا تفوتونه (وأذان) أى إعلام بتبرئ الله تعالى ورسوله من المشركين (إلى الناس) جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين ، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس : من عاهد ، ومن لم يعاهد ، والمشركين وغيرهم (الحج الأكبر) هو يوم عرفة أو يوم النحر ، وقيل أيام الموسم كلها ، وعبر عنها بيوم كقولك يوم صفين والجمل ، وكانت أياما كثيرة (أن الله برىء من المشركين) تقديره أذان بأن الله برىء . وحذفت الباء تخفيفا ، وقرئ إن الله بالكسر ، لأن الأذان فى معنى القول (ورسوله) ارتفع بالعطف على الضمير فى برىء ، أو بالعطف على موضع اسم إن ، أو بالابتداء وخبره محذوف وقرئ بالنصب عطف على اسم إن ، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على المشركين لأنه معنى فاسد ويجوز على الجوار أو القسم ، وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذة (فإن تبتم) يعنى التوبة من الكفر (إلا الذين

الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ
أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ
أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا
عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ
اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ ۝ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *
وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ۝

عاهدتم) يريد الذين لم ينقضوا العهد (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) يعنى الأشهر الأربعة التى جعلت لهم ، فمن قال إنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فهى الحرم المعروفة زاد فيها شوال ونقص رجب ، وسميت حرما تغليبا للأكثر ومن قال إنها إلى ربيع الثانى : فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ناسخة لكل موادعة فى القرآن وقيل إنها نسخت أيضا فإمامنا بعد وإما فداء ، وقيل بل نسختها هى فيجوز المن والفداء (وخذوهم) معناه الأسر ، والأخيذ هو الأسير (كل مرصد) كل طريق ونصبه على الظرفية (فإن تابوا) يريد من الكفر ، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة ، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، والآية فى معنى قوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، (فخلوا سبيلهم) تأمين لهم (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره) هو من الجوار أى استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم أم لا (ثم أبلغه مأمنه) أى إن لم يسلم فرده إلى موضعه ، وهذا الحكم ثابت عند قوم ، وقال قوم نسخ بالقتال (كيف يكون للمشركين عهد) لفظ استفهام ، ومعناه استنكار واستبعاد (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قيل المراد قريش ، وقيل قبائل بنى بكر (فما استقاموا) ما ظرفية (كيف) تأكيد للأولى ، وحذف الفعل بعدها للعلم به تقديره كيف يكون لهم عهد (لا يرقبوا) أى لا يراعوا (إلا ولا ذمة) الإل القرابة ، وقيل الحلف ، والذمة العهد (وأكثرهم فاسقون) استثنى من قضى له بالإيمان (أئمة الكفر) أى رؤساء أهله قيل إنهم أبو جهل لعنه الله ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وحكى ذلك الطبرى وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قدمات قبل نزول هذه السورة ، والأحسن أنها على العموم (لا أيمان

أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝
وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ
لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۝
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟
وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم
بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

لهم) أى لاأيمان لهم يوفون بها ، وقرئ لاإيمان بكسر الهمزة (لعلهم ينتهون) يتعلق بقاتلوا (وهموا بإخراج الرسول) قيل يعنى إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخندق وأحد ، وقيل يعنى إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه (وهم بدءوكم أول مرة) يعنى إذايتهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بمكة (يعذبهم الله بأيديكم) يريد بالقتل والأسر وفى ذلك وعد للمسلمين بالظفر (قوم مؤمنين) قيل إنهم خزاعة والإطلاق أحسن (ويتوب الله) استئناف إخبار فإن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم (أم حسبتم) الآية : معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب من الخبيث ، وأم هنا بمعنى بل والهمزة ، (يعلم الله) أى يعلم ذلك موجبا لتقوم به الحجة (وليجة) أى بطانة (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) أى ليس لهم ذلك بالحق والواجب وإن كانوا قد عمروها تغليبا وظلما ، ومن قرأ مساجد بالجمع أراد جميع المساجد ، ومن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى أن أحوالهم وأقوالهم تقتضى الإقرار بالكفر ، وقيل الإشارة إلى قولهم فى التلبية لاشريك لك إلا شريك هو لك (أجعلتم سقاية الحاج) الآية : سببها أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج ، وبعمارة المسجد الحرام ؛ فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك ، ونزلت الآية فى على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن منبه افتخروا فقال أنا صاحب البيت وعندى مفاتحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية ، وقال على لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا آباءكم) الآية قيل نزلت فيمن ثبط عن الهجرة

هُمُ الظَّٰلِمُونَ ۝ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ

ولفظها عام وكذلك حكمها (فتربصوا) وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد (بأمره) قيل يعنى فتح مكة ، وقيل هو إشارة إلى عذاب أو عقاب (ويوم حنين) عطف على مواطن أو منصوب بفعل مضمر ، وهذا أحسن لوجهين : أحدهما أن قوله إذ أعجبتكم كثرتكم مختص بحنين ، ولا يصح فى غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذى بينهما فى ذلك ، والآخر أن المواطن ظرف مكان ، ويوم حنين ظرف زمان فيضعف عطف أحدهما على الآخر ، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات ، وحنين اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين وانصرف لأنه مذكر (إذ أعجبتكم كثرتكم) كانوا يومئذ اثنا عشر ألفا ، فقال بعضهم : لن نغلب اليوم من قلة فأراد الله إظهار عجزهم فقر الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بقى على بغلته فى نفر قليل ، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه ، ونادى بأصحابه فرجعوا اليه وهزم الله الكفار وقصة حنين مذكورة فى السير (بما رحبت) أى ضاقت على كثرة اتساعها وماهنا مصدرية (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة (ثم يتوب الله) إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين (إنما المشركون نجس) قيل إن نجاستهم بكفرهم وقيل بالجنابة (فلا يقربوا المسجد الحرام) نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام ، فأجمع العلماء على ذلك ، وقاس مالك على المشركين جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد ، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد وجعلها الشافعى عامة فى الكفار خاصة بالمسجد الحرام فمنع جميع الكفار دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول غيره . وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول سائر المساجد وأباح دخول أهل الكتاب فى المسجد الحرام وغيره (بعد عامهم هذا) يريد عام تسعة من الهجرة حين حج أبو بكر بالناس ، وقرأ عليهم على سورة براءة (وإن خفتم عيلة) أى فقرا ، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلة القوت بها إذ منع المشركون منها ، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله ، فأسلمت العرب كلها وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة ثم فتح الله سائر الأمصار (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أمر بقتال أهل الكتاب ونفى عنهم الإيمان بالله لقول اليهود عزير ابن الله ، وقول النصارى

أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۞ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

المسيح ابن الله ، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر لأن اعتقادهم فيه فاسد ، فإنهم لا يقولون بالمعاد والحساب (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أى لا يدخلون فى الإسلام (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين أمر بقتالهم وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى غزوة تبوك لقتال النصارى (حتى يعطوا الجزية) اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى ، ويلحق بهم المجوس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، واختلفوا فى قبولها من عبدة الأوثان والصابئين ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين ، وقدرها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهما على أهل الورق ، ويؤخذ ذلك من كل رأس (عن يد) فيه تاويلان : أحدهما دفع الذمى لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمطل بها كقولك يداً بيد ، الثانى عن استسلام وانقياد كقولك ألقى فلان بيده (وهم صاغرون) أذلاء (وقالت اليهود عزير ابن الله) قال ابن عباس إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود ، وهم سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، وقيل لم يقلها إلا فنحاص ، ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متبعون لمن قالها ، والظاهر أن جماعتهم قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم ، وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة فحفظها عزيرا وحده فعلمها لهم فقالوا ما علم الله عزيرا التوراة إلا لأنه ابنه ، وعزير مبتدأ ، وابن الله خبره ، ومنع عزير التنوين لأنه أعجمى لا ينصرف وقيل بل هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف ، وأما من نونه فجعله عربيا (وقالت النصارى المسيح ابن الله) قال أبو المعالى : أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله وذلك كفر شنيع (بأفواههم) يتضمن معنيين أحدهما إلزامهم هذه المقالة والتأكيد فى ذلك ، والثانى أنهم لا حجة لهم فى ذلك ، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمن تكذبه هذا قول بلسانك (يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل) معنى يضاهؤن يشابهون ، فإن كان الضمير لليهود والنصارى ، فالإشارة بقوله الذين كفروا من قبل للمشركين من العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله ، وهم أول كافر . أو للصابئين أو لأمم متقدمة وإن كان الضمير للمعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم المتقدمون (قاتلهم الله) دعاء عليهم ، وقيل معناه لعنهم الله (أنى يؤفكون) تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) أى أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم (والمسيح) معطوف على الأحبار والرهبان (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) أى أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (يريدون أن يطفؤا نور الله) أى يريدون أن يطفؤا نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وما جاء به من عبادة الله وتوحيده (بأفواههم) إشارة

إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ * إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُوا

إلى أقوالهم كقولهم ساحر وشاعر ، وفيه أيضا إشارة إلي ضعف حيلتهم فيما أرادوا (ليظهره على الدين) الضمير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو للدين ، وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى يعم المشارق والمغارب ، وقيل ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حتى لا يبقى إلا دين الإسلام (ليأكلون أموال الناس بالباطل) هو الرشا على الأحكام وغير ذلك (والذين يكنزون الذهب والفضة) ورد فى الحديث أن كل من أديت زكاته فليس بكنز ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز ، وقال أبوذر وجماعة من الزهاد كلما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز (ولا ينفقونها) الضمير للأموال والكنوز التى يتضمنها المعنى ، وقيل هى الفضة ، واكتفى فى ذلك عن الذهب إذ الحكم فيهما واحد (يوم يحمى) العامل فى الظرف أليم أو محذوف (عليها) الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير ينفقونها (اثنا عشر شهرا) هى الأشهر المعروفة أولها المحرم وآخرها ذو الحجة ، وكان الذى جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فى كتاب الله) أى فى اللوح المحفوظ ، وقيل فى القرآن والأول أرجح لقوله يوم خلق السموات والأرض (منها أربعة حرم) هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) يعنى أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم ، دين إبراهيم وإسماعيل ، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الضمير فى قوله فيهن للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها ، وإن كان الظلم ممنوعا فى غيرها ، وقيل الضمير للاثنى عشر شهرا ، أو الزمان كله ، والأول أظهر (وقاتلوا المشركين كافة) أى قاتلوهم فى الأشهر الحرم ، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها ، وكافة حال من الفاعل أو المفعول (إنما النسىء) وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر ، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات ، وكانت محرمة عليهم فى الأشهر الحرم فيشق عليهم تركها فيجعلونها فى شهر حرام ويحرمون شهرا آخر بدلا منه ، وربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى تكمل فى العام أربعة أشهر محرمة (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) أى تارة يحلون وتارة يحرمون ، ولم يرد العام حقيقة (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أى ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهى أربعة (فيحلوا ما حرم الله) يعنى إحلالهم القتال فى الأشهر الحرم (مالكم إذا قيل لكم

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ *

انفروا) عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك (اثاقلتم إلى الأرض) عبارة عن تخلفهم ، وأصل اثاقلتم تثاقلتم (إلا تنفروا يعذبكم) شرط وجزاء وهو العذاب فى الدنيا والآخرة (إلا تنصروه فقد نصره الله) شرط وجواب ، والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل : كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه ، فالجواب أن المعنى : إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله الذى نصره حين كان ثانى اثنين ، فدل بقوله نصره الله على نصره فى المستقبل (إذ أخرجه الذين كفروا) يعنى خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة ، وأسند إخراجه إلى الكفار ، لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه (ثانى اثنين) هو أبو بكر الصديق (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) يعنى أبا بكر (إن الله معنا) يعنى بالنصر واللطف (فأنزل الله سكينته عليه) الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل لأبى بكر ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نزل معه السكينة ، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها الرسول عليه السلام (وأيده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة يوم بدر وغيره (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يريد إذلالها ودحضها (وكلمة الله هى العليا) قيل هى لا إله إلا الله ، وقيل الدين كله (انفروا خفافا وثقالا) أمر بالتنفير إلى الغزو ، والخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة ، والثقل من يمكنه بصعوبة ، وقال بعض العلماء الخفيف الغنى والثقيل الفقير ، وقيل الخفيف الشاب ، والثقيل الشيخ ، وقيل الخفيف النشيط ، والثقيل الكسلان ، وهذه الأقوال أمثلة فى الثقل والخفة ، وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لو كان عرضا قريبا) الآية : نزلت هى وكثير مما بعدها فى هذه السورة فى المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت فى شدة الحر وطيب الثمار والظلال ، فثقلت عليهم فأخبر الله فى هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا ، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه (بعدت عليهم الشقة) أى الطريق والمسافة (وسيحلفون بالله) إخبار بغيب وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون (يهلكون أنفسهم) أى يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذبة ، أو تخلفهم عن الغزو (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية : كان بعض المنافقين قد استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم ، فعاتبه الله تعالى على إذنه له ، وقدم العفو على العتاب إكراما له صلى الله عليه وسلم وقيل إن قوله عفا الله عنك ليس لذنب ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام كما يقول أصاحك الله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) كانوا قد قالوا استأذنوه فى القعود ، فإن أذن لنا قعدنا ، وإن لم يأذن لنا قعدنا ، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم ، فحينئذ كان يقعد

لَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا

العاصى والمنافق ويسافر المطيع (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله) الآية : لا يستأذنك فى التخلف عن الغزو لغير عذر من يؤمن بالله واليوم الآخر (وارتابت قلوبهم) أى شكت ، ونزلت الآية فى عبد الله بن أبىّ بن سلول والجد بن قيس (ولو أرادوا الخروج) الآية . أى لو كانت لهم نية فى الغزو والاستعداد له قبل أوانه (انبعاثهم) أى خروجهم (فثبطهم) أى كسر عزمهم وجعل فى قلوبهم الكسل (وقيل اقعدوا) يحتمل أن يكون القائل لهم اقعدوا هو الله تعالى ، وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود ، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض (مع القاعدين) أى مع النساء والصبيان وأهل الأعذار ، وفى ذلك ذم لهم لاختلاطهم فى القعود مع هؤلاء (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) أى شرا وفسادا (ولأوضعوا) أى أسرعوا السير ، والإيضاع سرعة السير ، والمعنى أنهم يسرعون للفساد والنميمة (خلالكم) أى بينكم (يبغونكم الفتنة) أى يحاولون أن يفتنوكم (سماعون لهم) وقيل يسمعون أخباركم وينقلونها إليهم (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى طلبوا الفساد ، وروى أنها نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه من المنافقين (وقلبوا لك الأمور) أى دبروها من كل وجه ، فأبطل الله سعيهم (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) لما دعا النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس وكان من المنافقين : ائذن لى فى القعود ولا تفتنى برؤية بنى الأصفر فإنى لا أصبر عن النساء (ألا فى الفتنة سقطوا) أى وقعوا فى الفتنة التى فروا منها (إن تصبك حسنة تسؤهم) الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أى قد حذرنا وتأهبنا من قبل (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أى ما قدر وقضى ، وهذا رد على المنافقين (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) أى هل تنتظرون بنا إلا إحدى أمرين : إما الظفر والنصر ، وإما الموت فى سبيل الله وكل واحد من الخصلتين حسن (بعذاب من عنده) المصائب وما ينزل من السماء أو عذاب الآخرة (أو بأيدينا) يعنى القتل (فتربصوا) تهديد (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) تضمن الأمر هنا معنى الشرط ،

مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ
نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ *
فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ *
وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا
إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ
يَسْخَطُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا
إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۝ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ

فاحتاج إلى جواب : والمعنى لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعا أو كرها ، والطوع والكره عموم فى الإنفاق أى لن يتقبل على كل حال (ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا) تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم ، ويحتمل أن يكون إنهم كفروا فاعل مامنعهم ، أو فى موضع مفعول من أجله والفاعل الله (إنما يريد الله ليعذبهم بها) قيل العذاب فى الدنيا بالمصائب ، وقيل ماألزموا من أداء الزكاة (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) إخبار بأنهم يموتون على الكفر (ويحلفون بالله إنهم لمنكم) أى من المؤمنين (يفرقون) يخافون (لو يجدون ملجأ) أى مايلجأ إليه من المواضع (أومغارات) هى الغيران فى الجبال (أومدخلا) وزنه مفتعل من الدخول ومعناه نفق أوسرب فى الأرض (يجمحون) أى يسارعون (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) أى يعيبك على قسمتها والآية فى المنافقين كالتى قبلها وبعدها ؛ وقيل فى ذى الخويصرة الذى قال اعدل يامحمد فإنك لم تعدل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ويلك إن لم أعدل فمن يعدل الحديث ، (ولو أنهم رضوا) الآية : ترغيب لهم فيما هو خير لهم ، وجواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيرا لهم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية : إنما هنا تقتضى حصر الصدقات وهى الزكاة فى هذه الأصناف الثمانية فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم ، ومذهب مالك أن تفريقها فى هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام ، فله أن يجعلها فى بعض دون بعض ، ومذهب الشافعى أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء ، واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس ؟ فقيل هما سواء ، وقيل الفقير الذى يسأل الناس ويعلم حاله ، والمسكين ليس كذلك (والعاملين عليها) أى الذين يقبضونها ويفرقونها (والمؤلفة قلوبهم) كفار يعطون ترغيبا فى الإسلام ، وقيل هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم ، واختلف هل بقى حكمهم أوسقط للاستغناء عنهم (وفى الرقاب) يعنى العبيد يشترون ويعتقون (والغارمين) يعنى من عليه دين ، ويشترط أن يكون استدان فى غير فساد ولا سرف (وفى سبيل الله) يعنى الجهاد فيعطى منها المجاهدون ويشترى منها آلات الحرب واختلف هل تصرف فى بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل (وابن السبيل) هو الغريب المحتاج (فريضة) أى

قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۝ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم
بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ
أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ
طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ

حقا محدودا : ونصبه على المصدر ، فإن قيل . لم ذكر مصرف الزكاة فى تضاعيف ذكر المنافقين ، فالجواب أنه حصر مصرف الزكاة فى تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها ، فاتصلت هذه الآية فى المعنى بقوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات الآية (ومنهم الذين يؤذون النبي) يعنى من المنافقين وإذايتهم للنبى صلى الله عليه وسلم بالأقوال والأفعال (ويقولون هو أذن) أى يسمع كل ما يقال له ويصدقه ، ويقال إن قائل هذه المقالة هو نبيل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وقيل عتاب بن قيس (قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير والحق (ويؤمن للمؤمنين) أى يصدقهم يقال آمنت لك إذا صدقتك ، ولذلك تعدى هذا الفعل باللام وتعدى يؤمن بالله بالباء (ورحمة) بالرفع عطف على أذن ، وبالخفض على خير (يحلفون) يعنى المنافقين (والله ورسوله أحق أن يرضوه) تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، فهما جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليها ، وقيل إنما وحد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد (من يحادد الله) يعنى من يعادى ويخالف (فإن له) إن هنا مكررة تأكيداً للأولى ، وقيل بدل منها ، وقيل التقدير فواجب أن له ، فهى فى موضع خبر مبتدأ محذوف (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) يعنى فى شأنهم سورة على النبي صلى الله عليه وسلم والضمائر فى عليهم وتنبئهم وقلوبهم تعود على المنافقين ، وقال الزمخشرى إن الضمير فى عليهم وتنبئهم للمؤمنين ، وفى قلوبهم للمنافقين ، والأول أظهر (قل استهزؤا) تهديد (إن الله مخرج ما تحذرون) صنع ذلك بهم فى هذه السورة ، لأنها فضحتهم (إنما كنا نخوض ونلعب) نزلت فى وديعة بن ثابت بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيهات هيهات ، فسأله عن ذلك فقال إنما كنا نخوض ونلعب (إن نعف عن طائفة منكم) كان رجل منهم اسمه مخشن تاب ومات شهيداً (بعضهم من بعض) نفى لأن يكونوا من المؤمنين (ويقبضون أيديهم) كناية عن البخل (نسوا الله) أى غفلوا عن ذكره (فنسيهم) تركهم من رحمته وفضله (وعد الله المنافقين) الأصل فى الشر أن يقال أوعد ، وإنما يقال فيه وعد إذا صرح بالشر (والكفار) يعنى المجاهرين بالكفر (كالذين من قبلكم) خطاب للمنافقين والكاف فى موضع نصب والتقدير فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ، أو فى موضع خبر مبتدأ تقديره أنتم كالذين

أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ
عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا

من قبلكم (وخضتم) أى خلطتم وهو مستعار من الخوض فى الماء ، ولا يقال إلا فى الباطل من الكلام (كالذى خاضوا) تقديره كالخوض الذى خاضوا ، وقيل كالذين خاضوا ، فالذى هنا على هذا بمعنى الجميع (ألم يأتهم) الآية : تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة (والمؤتفكات) يعنى مدائن قوم لوط (بالبينات) أى بالمعجزات (بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون بعضهم من بعض ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية (جنات عدن) قيل عدن هى مدينة الجنة وأعظمها ، وقال الزمخشرى هو اسم علم (ورضوان من الله أكبر) أى رضوان من الله أكبر من كل ماذكر وذلك معنى ماذكر فى الحديث إن الله تعالى يقول لأهل الجنة أتريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون يارينا أى شىء تزيدنا ؟ فيقول رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار والمنافقين) جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان مالم يظهر مايدل على كفرهم ، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق ، وقد اختلف هل يقتل أم لا (واغلظ عليهم) الغلظة ضد الرحمة والرأفة ، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك (يحلفون بالله ماقالوا) نزلت فى الجلاس بن سويد ، فإنه قال إن كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ، فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأه عليه فحلف أنه ماقاله (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ماتقدم من قول الجلاس لأن ذلك يقتضى التكذيب (وكفروا بعد إسلامهم) لم يقل بعد إيمانهم ، لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنا ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم (وهموا بما لم ينالوا) هم الجلاس بقتل من بلغ تلك الكلمة عنه ، وقيل هم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل الآية نزلت فى عبد الله بن أبى بن سلول ، وكلمة الكفر التى قالها قوله سمن كلبك يأكلك ، وهمه بما لم يناله قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (ومانقموا إلا أن أغناهم الله) أى ماعابوا إلا الغنى الذى كان حقه أن يشكروا عليه ، وذلك فى الجلاس أو فى عبد الله بن أبى (فإن يتوبوا) فتح الله لهم باب التوبة فتاب

يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ
آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ *
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ه
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا
لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ه فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا

الجلاس، حسن حاله (ومنهم من عاهد الله) الآية: نزلت فى ثعلبة بن حاطب، وذلك أنه قال يارسول الله ادع الله أن يكثر مالى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه، فأعاد عليه حتى دعا له فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة، فنزلت فيه الآية فجاء بزكاته إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال إن الله أمرنى أن لا آخذ زكاتك ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان (بخلوا به) إشارة إلى منعه الزكاة (فأعقبهم نفاقا) عقوبة على العصيان بما هو أشد منه (إلى يوم يلقونه) حكم بوفاته على النفاق (الذين يلمزون المطوعين) نزلت فى المنافقين حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا ما هذا إلا رياء وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا من تصدق بكثير (والذين لا يجدون إلا جهدهم) هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به نزلت فى أبى عقيل تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون إن الله غنى عن صدقة هذا (فيسخرون منهم) أى يستخفون بهم (سخر الله منهم) تسمية للعقوبة باسم الذنب (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) يحتمل معنيين. أحدهما أن يكون لفظه أمر، ومعناه الشرط، ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء فى سورة المنافقين، والآخر أن يكون تخيير كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم، وهذا أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خيرنى فاخترت، وذلك حين قال عمر أتصلى على عبد الله بن أبى وقد نهاك الله عن الصلاة عليه (سبعين مرة) ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير (فرح المخلفون) أى الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه، وفى هذا تحقير وذم لهم، ولذلك لم يقل المتخلفون (بمقعدهم) أى بقعودهم (خلاف رسول الله) أى بعده حين خرج إلى تبوك، فخلاف على هذا ظرف، وقيل هو مصدر من خلف فهو على هذا مفعول من أجله (وقالوا لا تنفروا فى الحر) قائل هذه المقالة رجل من بنى سلمة ممن صعب عليه السفر إلى تبوك فى الحر (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل فى الدنيا مدة بقائهم فيها وبكاؤهم الكثير فى الآخرة؛ وقيل هو بمعنى الأمر أى يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويبكون كثيرا

يَكْسِبُونَ * فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ * وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ * وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ * وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ * رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ

فى الدنيا لما وقعوا فيه (إلى طائفة منهم) إنما لم يقل اليهم ، لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف (لن تخرجوا معى أبدا) عقوبة لهم فيها خزى وتوبيخ (أول مرة) يعنى فى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أى مع القاعدين وهم النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) نزلت فى شأن عبد الله بن أبى ابن سلول ، وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حين مات ، وروى أنه صلى عليه فنزلت الآية ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلى عليه جاءه جبريل فجذب ثوبه ، وتلا عليه : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصل عليه (واذا أنزلت سورة) قيل يعنى براءة والأرجح أنه على الإطلاق (أن آمنوا) أن هنا مفسرة (استأذنك أولو الطول منهم) أى أولو الغنى والمال الكثير (لكن الرسول) الآية أى إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه (الخيرات) تعم منافع الدارين وقيل هى الحور العين لقوله خيرات حسان (وجاء المعذرون) هم المعتذرون ثم أدغمت التاء فى الذال ونقلت حركتها إلى العين واختلف هل كانوا فى اعتذارهم صادقين أو كاذبين وقيل هم المقصرون من عذر فى الأمر إذا قصر فيه ولم يجد فوزنه على هذا المفعلون وروى أنها نزلت فى قوم من غفار (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم فكذبوا فى دعواهم الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم) أى من المعذرين (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) هذا رفع للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو وقيل إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان وهذا بعيد (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) قيل نزلت فى بنى مقرن وهم ستة إخوة صحبوا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل فى عبد الله بن مغفل المزنى (إذا نصحوا لله) يعنى بنياتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا

مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْتَذِرُونَ
إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا
عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ
فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
الدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَالسَّابِقُونَ
الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝ وَءَاخَرُونَ

للغزو (ما على المحسنين من سبيل) وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) قيل هم بنو مقرن وقيل ابن مغفل وقيل سبعة نفر من بطون شتى وهم البكاؤن ومعنى لتحملهم على الإبل وجواب إذا يحتمل أن يكون قلت (لا أجد ما أحملكم) أو تولوا إذا رجعتم يعنى من غزوة تبوك (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم (من أخباركم) نعت لمحذوف وهو المفعول الثانى تقديره قد نبأنا الله جملة من أخباركم (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) هم أهل البوادى من العرب (وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله) يعنى أنهم أحق أن لا يعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) أى تثقل عليهم الزكاة والنفقة فى سبيل الله ثقل المغرم الذى ليس بحق عليه (ويتربص بكم الدوائر) أى ينتظر بكم مصائب الدنيا (عليهم دائرة السوء) خبر أو دعاء (وصلوات الرسول) أى دعواته لهم وهو عطف على قربات أى يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم وقيل نزلت فى بنى مقرن (والسابقون الأولون) قيل هم من صلى للقبلتين وقيل من شهد بدرا وقيل من حضر بيعة الرضوان (والذين اتبعوه) سائر الصحابة ويدخل فى ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان (مردوا على النفاق) أى اجترؤا عليه وقيل أقاموا عليه (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) العذاب العظيم هو عذاب النار وأما المرتان قبله فالثانية منهما عذاب القبر والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم وقيل بفضيحتهم بالنفاق (وآخرون

اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم * خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقت وأن الله هو التواب الرحيم * وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهدة فينبئكم بما كنتم تعملون * وءاخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم * والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم

اعترفوا بذنوبهم) الآية : قيل إنها نزلت فى أبى لبابة فعمله الصالح الجهاد وعمله السيئ نصيحته لبنى قريظة وقيل هو لمن تخلف عن تبوك من المؤمنين فعملهم الصالح ماسبق لهم وعملهم السيئ تخلفهم عن تبوك وروى أنهم ربطوا أنفسهم إلى سوارى المسجد وقالوا لا نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هى عامة فى الأمة إلى يوم القيامة قال بعضهم مافى القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية (خذ من أموالهم صدقة) قيل نزلت فى المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يارسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا فنزلت هذه الآية وأخذ ثلث أموالهم وقيل هى الزكاة المفروضة فالضمير على العموم لجميع المسلمين (تطهرهم وتزكيهم بها) خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى موضع صفة لصدقة أو حال من الضمير فى خذ (وصل عليهم) أى ادع لهم (سكن لهم) أى تسكن به نفوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الضمير فى يعلموا للتائبين من التخلف وقيل للذين تخلفوا ولم يتوبوا وقيل عام وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره (ويأخذ الصدقات) قيل معناه يأمر بها وقيل يقبلها من عباده (وآخرون مرجون لأمر الله) قيل هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم وقيل هم الذين بنوا مسجد الضرار ، وقرئ مرجئون بالهمز وتركه وهما لغتان ومعناه التأخير (والذين اتخذوا مسجدا) قرئ الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون مرجون أو على تقديرهم الذين وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضرار ، وقرئ والذين بالواو عطف على آخرون مرجون وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجئين أنهم الثلاثة الذين خلفوا (ضرارا وكفرا) كانوا بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه ويصلى فيه فحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف فبنوا مسجدا آخر مجاورا له ليقطعوا الناس عن الصلاة فى مسجد قباء وذلك هو الضرار الذى قصدوا وسألوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يأتيه ويصلى لهم فيه فنزلت عليه فيه هذه الآية (وتفريقا بين المؤمنين) أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء (وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى انتظارا لمن حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق وكان من أهل المدينة فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهد بالكفر والنفاق ثم خرج إلى مكة

لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ۝ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ

لحزب الأحزاب من المشركين فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك وكان أهل مسجد الضرار يقولون إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد والإشارة بقوله من قبل إلى ما فعل معه الأحزاب (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) أي الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله فأكذبهم الله في ذلك (لا تقم فيه أبدا) نهي عن إتيانه والصلاة فيه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بطريقه (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء، وقيل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقد روي ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) كانوا يستنجون بالماء ونزلت في الأنصار على قول من قال إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة على قول من قال إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار) الآية: استفهام بمعنى التقرير، والذي أسس على التقوى والرضوان: مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذي أسس على شفا جرف هار: هو مسجد الضرار، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان: هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرف هار: هو بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع، ومعنى شفا جرف: طرفه، ومعنى هار: ساقط أو واهي، بحيث أشفى على السقوط، وأصل هار: هائر، فهو من المقلوب، لأن لامه جعلت في موضع العين (فانهار به في نار جهنم) أي طاح في جهنم، وهذا ترشيح للمجاز، فإنه لما شبه بالجرف وصف بالانهيار الذي هو من شأن الجرف، وقيل إن ذلك حقيقة، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه، والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمر بهدمه فهدم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) أي لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه: أي شك في الإسلام بسبب بنيانه، لاعتقادهم صواب فعلهم: أو غيظ بسبب هدمه (إلا أن تقطع قلوبهم) أي إلا أن يموتوا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) قيل إنها نزلت في بيعة العقبة وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة، قال بعضهم ما أكرم الله، فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقة رابحة (يقاتلون في سبيل الله) جملة في موضع الحال بيان للشراء (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) قال بعضهم ناهيك عن بيع: البائع فيه

السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

رب العلا والثمن جنة المأوى ، والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (التائبون) ومابعده : أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم : تقديره هم التائبون (السائحون) قيل معناه الصائمون ، ويقال ساح فى الأرض : أى ذهب (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) نزلت فى شأن أبى طالب فإنه لما امتنع أن يقول لا إله إلا الله عند موته ، قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك ، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم استأذن ربه أن يستغفر لأمه فنزلت الآية ، وقيل إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت الآية (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة) المعنى لاحجة لكم أيها المؤمنون فى استغفار إبراهيم لأبيه ، فإن ذلك لم يكن إلا لوعد تقدم ، وهو قوله سأستغفر لك ربى (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قيل تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر ، وقيل لأنه نهى عن الاستغفار له (لأواه) قيل كثير الدعاء ، وقيل موقن ، وقيل فقيه ، وقيل كثير الذكر لله ، وقيل كثير التأوه من خوف الله (وما كان الله ليضل قوما) الآية : نزلت فى قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن ، فخافوا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية تأنيسا لهم أى ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك (فى ساعة العسرة) يعنى حين محاولة غزوة تبوك ، والساعة هنا بمعنى الحين والوقت ، وإن كان مدة ، والعسرة الشدة وضيق الحال (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) يعنى تزيغ عن الثبات على الإيمان ، أو عن الخروج فى تلك الغزوة لما رأوا من الضيق والمشقة ، وفى كاد ضمير الأمر والشأن ، أو ترتفع بها القلوب (ثم تاب عليهم) يعنى على هذا الفريق أى رجع بهم عما كادوا يقعون فيه (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولاقصد للمخالفة ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتب عليهم ، وأمر أن لايكلمهم أحد ، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله توبتهم ، وقد روى حديثهم فى البخارى ومسلم والسير ، ومعنى خلفوا هنا : أى عن الغزوة ، وقال كعب بن مالك معناه

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

خلفوا عن قبول الضر ، وليس بالتخلف عن الغزو يقوى ذلك كونه جعل إذا ضاقت غاية للتخلف (ضاقت عليهم الأرض) عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أى رجع بهم ليستقيموا على التوبة (وكونوا مع الصادقين) يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب فنفعهم الله بذلك ، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان وهو الصدق فى الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم ، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله فى الحشر للفقراء المهاجرين ، إلى قوله : هم الصادقون وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة ، فقال نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أى تابعين لنا (ما كان لأهل المدينة) الآية : عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التى تحملها هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ذلك بأنهم لا يصيبهم) تعليل لما يجب من عدم التخلف (ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) أى جوع (ولا يطؤون) أى بأرجلهم أو بدوابهم (ولا ينالون من عدو نيلا) عموم فى كل ما يصيب الكفار (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال ابن عباس : هذه الآية فى البعوث إلى الغزو والسرايا : أى لا ينبغى خروج جميع المؤمنين فى السرايا ، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، ولذلك عاتبهم فى الآية المتقدمة على التخلف عنه ، فالآية الأولى فى الخروج معه صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى السرايا التى كان يبعثها ، وقيل هى ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ، وقيل هى فى طلب العلم ومعناها : أنه لا تجب الرحلة فى طلب العلم على الجميع ، بل على البعض لأنه فرض كفاية (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) تحضيض على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم (ليتفقهوا فى الدين) إن قلنا إن الآية فى الخروج إلى طلب العلم ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تنفر أى ترحل ، وكذلك الضمير فى ينذروا وفى رجعوا : أى ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة ، وإن قلنا إن الآية فى السرايا ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تقعد فى المدينة ولا تخرج مع السرايا ، وأما الضمير فى رجعوا فهو للفرقة التى خرجت مع السرايا (لعلهم يحذرون) الضمير للقوم (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج ، وقيل إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام ، لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب ، وكانت أرض العرب قد

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۝ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝

عمها الإسلام . وكانت العراق حينئذ بعيدة (وإذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) أى من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن كأنهم يقولون أى عجب فى هذا وأى دليل فى هذا (فأماالذين آمنوا فزادتهم إيمانا) وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عندنزول كل سورة (وأماالذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) المرض عبارة عن الشك والنفاق والمعنى زادتهم رجسا إلى رجسهم أوزادتهم كفرا ونفاقا إلى كفرهم ونفاقهم (يفتنون فى كل عام) قيل يفتنون أى يختبرون بالأمراض والجوع ، وقيل بالأمر بالجهاد ، واختار ابن عطية أن يكون المعنى يفضحون بما يكشف من سرائرهم (نظر بعضهم إلى بعض) أى تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد كأن سبب خروجهم أن ينقل عنهم ذلك وقيل معنى نظر بعضهم إلى بعض على وجه التعجب مما ينزل فى القرآن من كشف أسرارهم ثم قال بعضهم لبعض (هل يراكم من أحد) أى هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم أو علمت من غير نقل فهذا أيضا على وجه التعجب (ثم انصرفوا) يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان ، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى (صرف الله قلوبهم) دعاء أو خبر (بأنهم قوم لا يفقهون) تعليل لصرف قلوبهم (لقدجاءكم رسول من أنفسكم) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، والخطاب للعرب أولقريش خاصة أى من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته أولبنى آدم كلهم: أى من جنسكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم (عزيز عليه ماعنتم) أى يشق عليه عنتكم ، والعنت : هو مايضرهم فى دينهم أودنياهم وعزيز صفة للرسول ، وماعنتم فاعل بعزيز ، ومامصدرية أوماعنتم مصدر ، وعزيز خبر مقدم والجملة فى موضع الصفة (حريص عليكم) أى حريص على إيمانكم وسعادتكم (بالمؤمنين رؤف رحيم) سماه الله هنا باسمين من أسمائه (فإن تولوا فقل حسبى الله) أى إن أعرضوا عن الإيمان ، فاستعن بالله وتوكل عليه وقيل إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة